حركة الإصلاح الديني في أوربا

إن حركة الإصلاح الديني أيقظت ضمير الفرد الأوربي بضرورة القيام بإصلاح ما انتشر من فساد وانحطاط القيم والأخلاق والطمع وحب المال وخاصة رجال الكنيسة، ومن رواد هذه الحركة **جون ويكلف الانجليزي**(1348-1384م) **وجون هس التشيكي** (1370-1415م) **وسافونا رولا الايطالي** (1452-1498م) **ومارتن لوثر الألماني** (1483-1546م).

1-جون ويكلف (1348-1384م) أخذ اسمه من بلدته ويكلف في منطقة يوركشير بأنجلترا، حصل على الدكتوراه في علم اللاّهوت من جامعة اكسفورد سنة 1372م، وبعد ذلك منحه الملك ادوارد الثالث(1327-1377م) قطعة ارض في منطقة لترورز اعترافا بشهرته العلمية، وقد كان من بين أعضاء بعثة الملك إلى بروج لتسوية الخلافات مع البابوية، حيث أن الملك رفض دفع الضريبة للبابوية، التي كانت مقررة منذ عهد يوحنا سنة 1215م. وقد ركز ويكلف دراسته في تلك الفترة على علاقة الملك بالبابا أي العلاقة بين السلطتين الزمنية والدينية، ومن أفكاره مسألة السيادة وأن هذه الأخيرة يختص بها الخالق وحده، وأن رجال الدين والساسة فإنهم يقومون بتلك المهمة بتكليف من الله سبحانه، بإتباع مبدأ العدالة، كما أنه يرى بأن كل الأفراد في أي مجتمع هم أصحاب حق طبيعي في نصيب من هذا، أي الجميع يُحظى بالكرم الإلهي وأن الأرض ملك للجميع، قبل وقوع آدم عليه السلام في الخطيئة وأن هذه الأخيرة هي التي جلبت للعالم آفة حب الملكية، وتنافس بني آدم على تراب الأرض. ولا ينكر ويكلف حق الكنيسة في هذا التراب بشرط التوافق مع الحاكم، وقد رحب نبلاء الانجليز بهذا الفكر لأنهم رأوا بأن الكنيسة ذات ملكية واسعة، غير أن ذلك لم يعجب رجال الدين عامة فطلبوا محاكمة ويكلف نتيجة أفكاره المتطرفة. كما انتقل ويكلف إلى نظريات أخرى تخص العقيدة والطقوس الدينية، فقد نادى بمذهب القدرية فالبعض قدر لهم الخلاص، والبعض الآخر الهلاك وأن البابا أغلب الظن من الهالكين، وأن الكنيسة ورجالها منافقون وليس ثمة مبرر لوجودها، وأن الصلة بين العبد وربه تتم بالاسترشاد بما جاء في الكتب المقدسة دون اتخاذ وساطة. حينها تحين الأسقف وليم كورتيناي الفرصة وطرد ويكلف من جامعة أكسفورد هو وأتباعه، بعدها اختفى ويكلف بعيدا عن الأنظار في مزرعته في لترورز حيث توفي هناك. ولقد لقيت أفكاره انتشارا واسعا في انجلترا وأصبحت مذهب الكادحين والعمال والناقمين على نظام الحكم، فتصدت السلطة لذلك بالحديد والنار. وبالرغم من ذلك فقد انتقلت أفكاره إلى مناطق أوربا وخصوصا بوهيميا وانتشرت أفكاره في أروقة جامعة

براغ، التي تأسست سنة 1437م، وبهذا انزعج مسؤولوها من هذا الفكر، ورفع توصية إلى مجلس الجامعة بضرورة إدانة هذا الفكر الغريب، غير أن بعض الدارسين لم يهتموا بذلك وعلى رأسهم جون هس.

2-جون هس(1370-1415م) ولد في قرية هوزنيك، وحصل على إجازتي ليسانس والماجستير بالتتالي 1386-1396م كانا شابا متحمسا لقضايا الإصلاح الكنسي، كان خطيبا ومؤلفا للخطب الدينية، كما كانت هناك جماعة من المتحمسين للإصلاح في تشيكوسلوفاكيا تنادي بعودة الدين إلى الحياة الأولى البسيطة، وأعلن هس أنه لا يحق للكاهن المخطئ أن يؤم الصلاة أو القيام بالطقوس الدينية، ولما انتشرت آراءه وأفكاره في جامعة براغ أرسل البابا اسكندر الخامس أوامره إلى أساقفة براغ بإحراق كتب هس وجون ويكلف سنة 1410م، وكان رد فعل هؤلاء على هذا العمل أنه شرف لأبناء التشيك، كما ظهرت الأغاني الشعبية التي تسخر من كبير الأساقفة زينيك لجهله بما في الكتب. ونتيجة حاجة الكنيسة إلى المال لخوض حروبها ضد معارضيها ابتدع البابا يوحنا الحادي عشر (931-935م) صكوك الغفران في مجلس راتس سنة934م، وهذا لمن يرغب في التكفير عن ذنوبه. فكان جون هس أول من ندد بذلك، لأن الفردوس لا يورث بالمال ولا بالرشوة، وفي شهر جويلية سنة 1415م تم إحراق جون هس. وبالرغم من رد الفعل العنيف ضد هس، إلا أن أفكاره وتعاليمه ظلت متأججة في وجدان الشعب السلافي في بوهيميا، كما أن كراهتهم تجاه الألمان أظهرت حزبا بقيادة احد أتباعه المدعو نيقولا وصديقه زسكا، كما ظهرت جماعة مؤيدة لجون هس تدعى أبناء براغ سنة 1420م، وطالبت بتجريد رجال الدين من الملكية الخاصة، والقضاء على النظام الملكي، كما أنهم لم يغفروا للإمبراطور الألماني سجسموند خطأه ضد جون هس، فبعد أن توج سجسموند شقيقه على عرش بوهيميا ثاروا ضده، فبادر الإمبراطور بعقد حلف مع البابا مارتن الخامس، لشن حملات ضد أتباع هس خلال السنوات 1420،1421،1422،1427م، وقد تصدى البطل زسكا للألمان بعبقريته الفذة، وقد أوصى قبل وفاته أن يصنعوا من جلده طبلة يقرعون بها عند الحاجة لإيقاظ الثوار ضد الألمان والبابوية.

3-سافونا رولا:

لقد كانت المدن الايطالية تخضع لسلطان الأسر النبيلة، مثل آل مدتشي في فلورنسا وآل سفورزا في البندقية وآل بنتفوجيللو في بولونا، وكانت حسنة هذه الأسر تشجيعهم للفنون والآداب وإحياء التراث الكلاسيكي، وقد كانت ايطاليا محاطة بقوى أوربية عظمى، مثل فرنسا وألمانيا واسبانيا، هذا بالإضافة إلى العثمانيين الذين وصلوا حدود منطقة الأدرياتيك. وفي شهر أوت 1492م هاجم شارل الثامن ملك فرنسا ايطاليا بجيشه الجرار، وعند

انهزام الأمير الفلورنسي بيترو مديتشي خرج المتظاهرون بقيادة الراهب **سافونا رولا** ضد حكم مديتشي، وبتجمع القوات الايطالية ضد الفرنسيين تمكنوا من إلحاق الهزيمة بالغزاة، وقد انعكس هذا على والوضع الداخلي في فلورنسا، حيث أصبح حزب الأحرار بقيادة **سافونا رولا** ينادي بإقامة مجتمع يتمتع بالحرية والمساواة، بينما نظيريه من الأحزاب فمنهم ضد آل مدتشي والآخر من مؤيديها، وقد طالب **رولا** بضرورة توسيع برلمان فلورنسا لكي يمثل الشعب بدلا من تناحر الأحزاب الثلاثة. وبهذا تم انتخاب مجلس يمثل شرائح المجتمع سنة 1495م، غير أن حزب **سافونا رولا** كان متعاطفا مع شارل الثامن الملك الفرنسي، نكاية في البابا اسكندر الخامس وأصهاره من نابلي، فقد شبههم **رولا** ببؤر الفساد في ايطاليا. لهذا قام البابا بتأليب الرأي العام ضد **سافونا رولا** ، متهما إياه بالخيانة والتواطؤ مع الملك الفرنسي، وأرسل إلى فلورنسا لمنع **رولا** من دروس الوعظ، فأمتثل سافولا رولا لأمر البابا، غير أنه عدل عن ذلك وخرج عن صمته، حيث اعتلى منبر كاتدرائية سان مارك، وصاح قائلا بأن السماء قد طلبت منه ألا ينصاع وألا يرضخ لحكم كاهن فاسد، كما أنه اتهم البابا بالانحلال الخلقي. لذا جند البابا اسكندر راهبا ضليعا اسمه فرانسيس، لكي يشهر بسيرة سافونا رولا في كنيسة سانتا كروتشي، وفي أول لقاء بالجمهور أثناء تأدية الصلاة حثهم على أن رولا لم يكن صادقا في أقواله، ولا يمكنه بالإتيان بالمعجزات، لذا أردت أن أتحاكم معه بالنار، ومن ينجو منها فهو صادق. وبهذا دعا الأنصار **سافونا رولا** لقبول التحدي، حيث جمع الحطب وجعل أكواما، ومن يستطيع العبور من خلال ممرها دون احتراق فهو على حق، وقد اجتمع الناس لهذا المشهد ونتيجة لبعض الخلافات بين الأنصار تشاجروا ،كما أن النار التي اشتعلت قد انطفأت أثناء نزول المطر ،وبهذا لم تتحقق معجزة **سافونا رولا**، وبهذا تراجعت شعبيته. وبعد ذلك تم القبض وإعدامه حرقا في 23 ماي 1498م.

4مارتن لوثر: (1483-1546م) من عائلة فقيرة تمارس النشاط الفلاحي في سكسونيا، التحق بجامعة ارفورت ودرس القانون، وكانت الجامعة قد أدرجت الدراسات الإنسانية القديمة، والدراسات الدينية المتعمقة، وقد حصل لوثر على درجته الجامعية، وفي سنة 1505م دخل الحياة الديرية، حيث انضم إلى جماعة القديس أوغسطين وأصبح راهبا، وفي سنة 1508م عاد إلى الحياة الجامعية، حيث التحق بجامعة وتنبرج واستكمل دراساته في اللاّهوت. وفي سنة 1511م، قام بزيارة روما في مهمة رسمية ممثلا لطائفة القديس أوغسطين، وأثناء تلك الزيارة هاله ما رآه من انحطاط أخلاقي لرجال الدين. وفي سنة 1512م تم تعيينه أستاذا لكرسي اللاهوت بجامعة وتنبرج، وقد ركز في رسالته الجامعية على التدريس والوعظ. تعود لهذه العبقرية ضرورة إصلاح مفاسد الكنيسة

ورجالها، ولقد كان مارتن لوثر متمسكا بشدة اعتقاده أن كل الحقائق ذات الصلة بالمشاكل القصوى للحياة والفكر كامنة في الكتاب المقدس، لم يكن مارتن ثوريا بالرغم من أنه كان سببا في قيام الثورة، بل كان عبقريا ذو فكر ودهاء. وفي بحثه عن الخلاص لنفسه، جعل منه بطلا للأمة الألمانية ضد ادعاءات الكنيسة الرومانية. ومن العوامل التي ساعدت قيام حركته وانتشارها منها تدهور وتراجع الكنيسة الكاثوليكية في روما، وروح النقد والتحرر من القيود التي فرضتها الكنيسة على المجتمع اللاّتيني، وخاصة ما يتعلق بحرية البحث والتفكير، وكذلك موقف حكام الألمان من تشرذم ألمانيا وانقسامها على نفسها، إذ أنه كان العديد من الوحدات السياسية، والتي تفوق ثلاثمائة وخمسين حكومة، وكان حكام هذه الوحدات يرون بأن سلطة البابا تحد من حريتهم عكس ما هو موجود في فرنسا وانجلترا على الخصوص. كما أن **صكوك الغفران** كانت سببا في قيام حركة لوثر الإصلاحية، والتي تطورت بدورها إلى حركة ثورية. وفيما يتعلق بصكوك الغفران، فإنها نشأت عن فكرة دينية روّج لها رجال الدين، وهي أن الإنسان إذا ارتكب خطأ ثم ندم على ارتكابه وتاب، ثم اعترف به أمام القسيس، فإن هذا المذنب لا يدخل الجنة مباشرة، بل يبقى فترة من الزمن في المطهر، حيث يلقى فيها نوعا من العذاب لكي يتطهر تماما من الذنوب. وكان من رأي الكنيسة أن العذاب الذي يلقاه المذنب التائب أثناء وجوده في المطهر، يمكن تخفيفه بالحج إلى كنائس معينة في روما وزيارة قبور الرسل، ثم تطورت فكرة تخفيف عذاب المطهر، وأجازت تقديم الهبات المالية بشرا ء صكوك الغفران بدلا من تحمل مشقة الحج إلى روما. علما أن الأساس في صكوك الغفران هو التماس التخفيف من عذاب المطهر، فلا بد أن تسبق شراء صكوك الغفران عمليتان رئيسيتان هما: أولا–التوبة أو الندم وثانيا: الاعتراف بالذنب بعد ذلك يأتي تكفير المذنب، وهذا التكفير في بادئ الأمر شمل الصلاة والصوم والزكاة. وفيما يتعلق بقضية بيع صكوك الغفران، فإن الراهب **حنا تتزل** دخل مدينة وتنبرج سنة 1517م لبيع صكوك الغفران، ونسبة من هذه الأموال تذهب لخزينة البابا ليون العاشر (1513–1521م). وحسب ما ذُكر فإن هذا الراهب تجاوز التعليمات من أجل بيع أكبر عدد ممكن من الصكوك. وقد أثارت هذه التصريحات حفيظة مارتن لوثر وهاجم فكرة صكوك الغفران. ولقد حدد لوثر أسس ومبادئ لحركته منها: إخضاع رجال الدين للسلطة الزمنية، وليس للبابا الحق في احتكار تفسير الإنجيل، وكذلك إباحة الزواج للقس وإباحة الطلاق للمسيحيين، وعدم إنشاء أديرة جديدة وإلغاء عدد من الأديرة الموجودة ثم إلغاء الديرية والرهبنة. كما أنه ليس في استطاعة القس تحويل العشاء الرباني. ونتيجة لذلك طلب البابا من شارل الخامس إمبراطور الدولة الرومانية المقدسة بتنفيذ قرار الحرمان البابوي، فوجه الإمبراطور دعوة لاجتماع المجلس في مدينة ورمس الألمانية وطلب من مارتن لوثر الحضور للاجتماع، الذي ينعقد في المدينة في 17 أفريل 1521م، علما أن الإمبراطور منح لوثر أمانا به يسافر

من وتنبرج إلى ورمس والعودة إلى مدينته بأمان. وقبل سفره وفي مدينة وتنبرج في 10ديسمبر 1520م أحرق لوثر قرار الحرمان البابوي وغيره من المراسيم البابوية، بحضور العامة وطلبة الجامعة، وبهذا انقلبت حركة مارتن لوثر لتصبح حركة قومية ضد كنيسة روما، وأصبح لوثر زعيما وطنيا. وفي 26 من شهر ماي سنة 1521م تم إدانة لوثر واعتباره هرطيقا يجب معاقبته. ولكن الإمبراطور وفّى بعهده لمارتن، أن لا يمسه بسوء، ولكن بانقضاء المدة أمر بإلقاء القبض عليه، لكن أمير سكسونيا **فردريك** قدم له الأمان والحماية في قلعة ورتبرج، فأصبح لوثر بعيدا عن بطش الإمبراطورية والبابوية معا. وفي أثناء وجوده بالقلعة قام لوثر بترجمة الإنجيل من الإغريقية إلى الألمانية، وبذلك أصبح الإنجيل متاحا للشعب الألماني بلغته، وكان لذلك العمل أثر في إحياء الأدب الألماني، وجعل من لوثر أحد رواد وأعلام النهوض باللغة الألمانية، إذ أنه جمع بين الدين والأدب. وفي قلعته اتصل به الفيلسوف فيليب ملانسكتون، فكان له خير مساعد في وضع فلسفة للإصلاح اللوثري.